

اليوم رقم 3

بسم الله الرحمن الرحيم

من خلال سور الأمس يمكننا أن نقول أن قريش قد أعلنت موقفها الرفض لدعوة محمد، وأن رجالها حاصروه بالأسئلة عن موعد البعث وكيف سيكون وأين. فكانت السور تنزل لتأكيد أن البعث لن يكون في هذا الكون بإعطاء صور حسية لانتهيار هذا الكون ثم بدأت السور تتحدث وتصور قيام كون آخر هو الذي سيكون فيه البعث.

والسور تعطي صوراً حسية أيضاً لنعيم الجنة للترغيب ولجحيم النار للترهيب.

ثم تزايدت سخرية قريش من الرسول ومن آمن معه وتصلبت مواقفهم الراضية للدعوة، لكن لم تتحدث السور عن أي اعتداء جسدي على الرسول أو المسلمين. ويعود السبب في هذا إلى أن قريش وبقية سكان جزيرة العرب التزموا بحرمة مكة وأمن ساكنيها منذ أن وجدت: {وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ {125} البقرة.

لذا لم تتجرأ قريش على المساس بالمسلمين وبالرسول، لكن سنرى فيما بعد أن هذا لن يدوم.

المهم الآن أننا بدأنا ندخل جو القرآن وبدأنا نفهم على سبيل المثال أن تكرار سور كثيرة تصف انهيار الكون بصور حسية وتصف ما في الجنة والنار وصحيفة الأعمال ولم يكتفى بسورة واحدة أو اثنتين، وذلك لأن قريش استمرت تردد أسئلتها على محمد عن البعث والحساب ومتى يكون وكيف وأين.

وعرفنا أن القرآن ليس كتاباً تاريخياً لكنه مصدر موثوق عن تاريخ الدعوة. ذلك أن السورة تنزل لتتفاعل مع ما يحدث عند نزولها، فإن كان هناك حدث ذكرته وإن كان هناك موقف ذكرته. إضافة إلى فرض التشريعات.

كما يمكن أن نلاحظ أن خطاب الدعوة في كل ما سبق من سور كان موجهاً لقريش فقط، دون بقية الناس، وكأن محمداً بعث لقريش فقط. وكما هو ملاحظ أيضاً فالسور الماضية لم تذكر من الأحداث والوقائع إلا القليل، مثل القرشي الذي نهر الرسول عن الصلاة في العلق أو ذاك القرشي الذي كاد يسلم ثم نكث والذي ذكرته المدثر. إضافة لذكر أن قريش تتهم الرسول بالكذب وأن كلامه شعر أو كهانة. وفي الفترة الأخيرة بدأ رجال من قريش يسخرون بصوت مسموع من

الرسول ومن معه ويضحكون عليهم كلما مروا بهم. وهي أحداث قليلة وبسيطة، مما يعني أن الأيام كانت تمر في هذه الفترة بمكة بشكل روتيني. فالرسول استمر يتلوا القرآن على تجمعات قريش التي صمت أذانها عن سماع الحق، وإن كان يحدث بين رجالها أحياناً نقاش حول حقيقة البعث.

وعلى العموم فالمرحلة الأربع الأولى من مراحل الدعوة في مكة قليلة الأحداث جداً برغم أنها استمرت لفترة طويلة، وسنرى بعون الله أن الأحداث سوف تتسارع وتتكاثر في المراحل القادمة وتزداد في المدينة بعد الهجرة.

واليوم لدينا مجموعتين من السور، الأولى: الحاقة، المطففين، عبس، المرسلات، الجن، الفلق، والناس. والمجموعة الثانية هي: الإنسان، الملك، يس، القدر، الرحمن. ليكون مجموع سور اليوم: 12 سورة.

وسنبدأ بسورة الحاقة، التي تمثل نقلة جديدة في نوع الخطاب لقريش يتواءم مع مواقف قريش المتصلبة برفض الدعوة، التي لا تراجع فيها، فقد قابل القرآن هذا الموقف بلهجة صارمة جداً، كما سنلاحظ في سور هذا اليوم:

وتبدأ سورة الحاقة بإعطاء تفاصيل للكيفية التي أهلكت بها أمم سابقة كذبت رسلها كما تفعل قريش الآن، لعل قريش تعتبر مما حدث. ثم تعطي صورةً حسية لانهيـار الكون، ولصحيفة الأعمال، ولما في الجنة والنار.

الْحَاقَّةُ {1} مَا الْحَاقَّةُ {2} وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ {3} كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ {4} فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ {5} وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ {6} سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازُ نَحْلٍ خَاوِيَةٍ {7} فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِّنْ بَاقِيَةٍ {8} وَجَاء فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ {9} فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً رَّابِيَةً {10} إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ {11} لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ {12} فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ {13} وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً {14} فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ {15} وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ {16} وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ {17} يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ {18} فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيَةِ {19} إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَةِ {20} فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ {21} فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ {22} قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ {23} كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ {24} وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَةِ {25} وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَةِ {26} يَا لَيْتَهَا

كَانَتْ الْقَاضِيَّةَ {27} مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهِ {28} هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ {29} خُذُوهُ فَغُلُّوهُ {30} ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ {31} ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ {32} إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ {33} وَلَا يَحِضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ {34} فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ {35} وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ {36} لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ {37}

(الآيات: 38-52) بصرامة تؤكد السورة بالقسم أن محمد يتلوا عليهم وحي قاله رسول كريم (أحد الملائكة) منزل من الله، وليس من كلامه الشخصي، أو شعر أو تمتمة كاهن. وبنفس الصرامة في الخطاب تؤكد السورة أن محمد لو تجرأ ودعا الناس بعبارته الشخصية لأهلكناه (استخدم هنا قطع الوتين) ككناية للهلاك. (هذا دليل آخر على أن محمد لا يستطيع استخدام عباراته للدعوة)

فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ {38} وَمَا لَا تُبْصِرُونَ {39} إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ {40} وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمِنُونَ {41} وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ {42} تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ {43} وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ {44} لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ {45} ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ {46} فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ {47}

وتكرر الآيات أن القرآن تذكرة لمن يرغب التقوى، وأنه حق، وهو حسرة على الكافرين: وَإِنَّهُ لَتَذْكُرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ {48} وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ {49} وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ {50} وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ {51} فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ {52}

وتختتم السورة بتذكير محمد على الاستمرار بتسبيح الله، ليستعين بها على الضغوط النفسية.

وتنتهج سورة المطففين نفس الأسلوب الصارم مثل السورة السابقة، مع قريش التي أعلنت رفضها للدعوة.

وَيَلِّ لِلْمُطَفِّفِينَ {1} الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ {2} وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ {3} أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ {4} لِيَوْمٍ عَظِيمٍ {5} يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ {6} والبداية بوعيد شديد للمطففين، أي الذين يتعاملون بالغش التجاري، والسورة أعطت أمثلة على الغش التجاري، وإن كان الوعيد لكل نوع أو أسلوب للغش التجاري، الذي اعتبرته السورة من أعظم الكبائر.

وهنا يلزم أن نذكر أن القرآن يشمل كل التشريعات (القوانين بلغة العصر) الإلهية الواجب تطبيقها في كل مكان وزمان. كما يشمل دستور الدولة الذي يبين السلطات التشريعية في الدولة التي يحق لها سن القوانين الغير موجودة في القرآن والتي تهم الدولة. والقوانين الإلهية لا تظهر في القرآن

بتفاصيلها الدقيقة، لكن القرآن يعطينا المادة الأصلية للقانون وعلينا نحن أن نكتب التفاصيل بما يتلاءم مع العصر والمكان. وقانون الغش التجاري مثال على ما نقول. فالآيات تقول: {وَيُلْ لِلْمُطْغَفِينَ} 1 {الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ} 2 {وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ} 3.

وهذا يمثل المادة الأصلية للغش التجاري، أما التفاصيل تحت هذا القانون العظيم فستشمل كل ما يهم حماية المستهلك. من مأكّل ومشرب ودعايات ومواد بناء ونجارة وتجارة الخ. ولو طبق هذا القانون فلن نجد مشروبات غازية تباع وتسبب الفشل الكلوي أو هشاشة العظام، ولن نجد مزروعات تسقى بمياه المجاري، ولن نجد دعاية تروج لبرغر مقلية بدهون ثلاثية..... فحتى الدعايات ستتغير جذرياً.

وهكذا كما سنرى في تشريعات قادمة.

ونعود لآيات سورة المطففين: يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} 6 {كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سَجِّينٍ} 7 {وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِّينٌ} 8 {كِتَابٌ مَّرْقُومٌ} 9 {وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ} 10 {الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ} 11 {وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ} 12 {إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} 13 {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} 14 {كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ} 15 {ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ} 16 {ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ} 17 {كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ} 18 {وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ} 19 {كِتَابٌ مَّرْقُومٌ} 20 {يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ} 21 {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ} 22 {عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ} 23 {تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ} 24 {يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْثُومٍ} 25 {خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} 26 {وَمِرَاجُهُ مِنَ النَّعِيمِ} 27 {عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ} 28 {حيث تتوعد هذه الآيات المكذبين، وتعطي صوراً حسية مزعجة لما ينتظرهم من عذاب، كما تعطي صوراً حسية مريحة لما ينتظر المؤمنين من نعيم.

(الآيات: 29-36) تختم السورة بالإشارة إلى ما كان يصدر من قريش ضد الرسول ومن آمن معه في تلك اللحظة. فقد كانوا يضحكون عليهم ويسخرون منهم، وتتوعدهم السورة بمصير مؤلم، وتعد المؤمنين بحسن الخاتمة في الآخرة: إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ} 29 {وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ} 30 {وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ} 31 {وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءَ لَضَالُّونَ} 32 {وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ} 33 {فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ} 34 {عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ} 35 {هَلْ تُؤَبُّ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} 36

وننتقل الآن إلى سورة عبس

والآيات العشر الأولى من سورة عبس تشير إلى أن محمداً كان يتحدث مع أحد كبراء قريش، أو يتلوا عليه القرآن لإقناعه بدعوة الحق. وبينما كان الرسول مستغرقاً في حديثه مع القرشي، قاطعه رجل أعمى مسلم بسؤال، فأقلت القرشي وابتعد. فما كان من الرسول إلا أن امتعض وتغيرت ملامح وجهه من الغضب "عبس"، لأنه كان يأمل أن يقنع القرشي بالدخول في الإسلام.

عَبَسَ وَتَوَلَّى {1} أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى {2} وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكَّى {3} أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى {4} أَمَّا مَنْ اسْتَغْنَى {5} فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى {6} وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكَّى {7} وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى {8} وَهُوَ يَخْشَى {9} فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى {10}

والأعمى هو أحد المسلمين القلائل في ذلك الوقت، والذين معظمهم من الضعفاء والمساكين، كما درجت سنة الأولين، مع كل الرسل السابقين، ومنهم من آمن مع نوح: {فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّائِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ} {27} هود.

ومن آمن بصالح: {قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِمَنْ أَمَنَّ مِنْهُمْ اتَّعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ} {75} الأعراف.

وتوبيخ الرسول على ما حدث، تحريم للعبوس في وجه المسلم، أو الصد عنه. وهذا التشريع المبكر ومنذ الأيام الأولى للإسلام، جاء لضمان حياة كريمة للمسلم، تصان فيها كرامته ومشاعره، ولم يتهاون القرآن مع محمد، برغم أنه رسول الله، وأنه في بداية الدعوة، والضغوط النفسية عليه كبيرة جداً، وبحاجة للتشجيع وليس التوبيخ، لكن كرامة المسلم فوق كل اعتبار. والله جل وعلى لا يتعامل بالعواطف، فالقانون قانون ويجب أن يحترم مهما كانت الظروف.

ثم تقول السورة: كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ {11} فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ {12} فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ {13} مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ {14} بِأَيْدِي سَفَرَةٍ {15} كِرَامٍ بَرَرَةٍ {16}

ترد هذه الآيات على تساؤل لقريش عن القرآن الذي يتلوه محمد عليهم، وتؤكد أنه تذكرة لمن يرغب في إنقاذ نفسه. وأنه نسخ من نسخة أصلية محفوظة بعلم الله، سمتها الآيات هنا بالصحف المكرمة المرفوعة (عند الله وبعلمه) مطهرة. وأن من يتعامل معها سفرة (رسل) كرام بررة (الملائكة المكلفون بنقل نصوص الوحي من مكان حفظها إلى ذاكرة الرسول).

سنرى أن القرآن سيسيئ تلك الآلية التي تحفظ فيها نسخة الوحي باللوح المحفوظ تارة وأم الكتاب تارة والكتاب المكنون تارة أخرى، والمقصود واحد. (لمن يسجل أدلة من القرآن).

ثم تنتقل الآيات إلى الدعوة للتفكير بالخلق للإيمان بقدرة الخلق على البعث: قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ {17} مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ {18} مِنْ تُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ {19} ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ {20} ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ {21} ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ {22} كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ {23} فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ {24} أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا {25} ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا {26} فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا {27} وَعِنَبًا وَقَضْبًا {28} وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا {29} وَحَدَائِقَ غُلْبًا {30} وَفَاكِهَةً وَأَبًّا {31} مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ {32} .

وتختتم السورة بتقديم صور حسية وكنايات عن يوم القيامة والحساب. لاحظ أن القيامة كُتبت هنا بالصاخة، كما كُتبت القارعة .. الخ: فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَةُ {33} يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ {34} وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ {35} وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ {36} لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ {37} وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ {38} ضَاكَّةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ {39} وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ {40} تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ {41} أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ {42}

سورة المرسلات

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا {1} فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا {2} وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا {3} فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا {4} فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا {5} عُذْرًا أَوْ نُذْرًا {6} إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٍ {7} بداية عاصفة لشد الانتباه والتأكيد على أن القيامة حق: {إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٍ {7} .

ثم تقدم الآيات صور حسية لانهايار الكون، لأن البعث سيكون بعد ذلك: فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ {8} وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ {9} وَإِذَا الْجِبَالُ سُفِفَتْ {10} وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْنَتْ {11} .

ووعيد شديد لما سيلاقيه الكاذبون يوم الفصل والحساب: لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ {12} لِيَوْمِ الْفَصْلِ {13} وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ {14} وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ {15} .

ثم دعوة عقلانية للتفكير بالخلق للاستدلال على إمكانية البعث، لكن الأسلوب صارم وشديد. وتكرار "ويل يومئذ للمكذبين" لزيادة تأثير الوعيد في النفس: أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ {16} ثُمَّ نُنْبِئُهُمُ الْآخِرِينَ {17} كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ {18} وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ {19} أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ {20} فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ {21} إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ {22} فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ {23} وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ {24} أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا {25} أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا {26} وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فَرَاتًا {27} وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ {28} .

وتستمر الآيات بالوعيد: انطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ {29} انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ {30} لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ {31} إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ {32} كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ {33} وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ {34} .

(الآيات: 35- 50) تصوير حسي ليوم الحساب والجنة والنار، ثم تختتم السورة بالتساؤل: إذا كانت هذه هي الحقيقة فلماذا لا تؤمن قريش: هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ {35} وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ {36} وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ {37} هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ {38} فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ {39} وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ {40} إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ {41} وَفَوَاكِهٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ {42} كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ {43} إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ {44} وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ {45} كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ {46} وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ {47} وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ {48} وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ {49} فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ {50} .

سورة الجن

تبدأ السورة بإخبار الرسول ما حدث معه دون أن يشعر به، وهو استماع الجن لتلاوته للقرآن: قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا {1} يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا {2} وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا {3} وَأَنَّهُ كَانَ يَفُولُ سَفِيهًا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا {4} وَأَنَا ظَنَنَّا أَنَّ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا {5} وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا {6} وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنَّ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا {7} وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مَلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا {8} وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا {9} وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا {10} وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا {11} وَأَنَا ظَنَنَّا أَنَّ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا {12} وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا {13} وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِمَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا {14} وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا {15} وَالْوَلَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا {16} لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا {17} وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا {18} وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا {19} (الآيات: 1-19)

تقول السورة: أنه في إحدى المرات التي كان محمداً يتلوا القرآن على بعض قريش، صدف تواجد نفر من الجن في عين المكان، واستمعوا للآيات التي تلاها الرسول "وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ

كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا". واقتنعوا أن ما يتلى من الله، فآمنوا به. (لاحظ أن الرسول لم يعلم بتواجدهم لو لم تخبره الآيات بذلك. لكن المفسرين والمحدثين اختلفوا قصصاً لا حصر لها تروي كيف عرف الرسول بتواجدهم وكيف كان يتحدث معه، وسموهم بجن نصيبين وغيرهم.. الخ).

ويمكن أن نفهم من الآيات السابقة أن الجن وإن كانوا مخلوقات من طاقة (نار) إلا أنهم لابد أن يتواجدوا في مكان ما ليروا أو يشعروا أو يعرفوا بما يدور فيه.

وأولئك الجن بعدما اهتدوا، نزهوا الله مما تعتقد قريش من أن الله بنات هن الملائكة "وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا" {3}.

كما أن بعض الجن – مثل قريش - لا يؤمن بالبعث "وَأَنَّهُمْ ظُنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنَّ لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا" {7}.

فنقلوا ما سمعوا لقومهم، ودعوهم للإيمان به، كما آمنوا هم.

والجن مخلوقات روحانية. وعندما نقول روحانية، نقصد بها مخلوقات بلا أجساد مادية. فهي مخلوقة من عنصر من عناصر النار، أي من طاقة: {وَالْجَانَّ خَلْقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ {الحجر 27

وهذه المخلوقات سبقت خلق الإنسان، وموجودين في محيط الأرض: {وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجدْنَاهَا مُلِئتٌ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا} {8} وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا} {9}.

وقد منعوا من الخروج من محيط الأرض – الغلاف الجوي - والتجول في الكون، كما كانوا يفعلون سابقاً: {وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا} {12}.

وقد تكرر هذا التأكيد في سورة الصافات: {إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ} {6} وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ {7} لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ {8} دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ {9} إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ {10}.

وفي سور أخرى مثل الرحمن (الآيات 33 - 36) والملك (الآية 5).

والجن مطالبون بالإيمان برسالات البشر، لذا أسلمت هذه المجموعة برسالة محمد: {وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا} {13}.

أما عموم الجن، فمثل الإنس، بعضهم آمن، وبعضهم بقي على كفره: {وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا} {14}.

وسيدخل المؤمن منهم الجنة، وسيكون مصير كافرهم النار، كما البشر: {فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا} {14} وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا} {15}.

وهذه المخلوقات لا يمكن للإنسان رؤيتهم: {وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا} {19}.

فالرسول لم يشعر بهم، وقد أحاطوا به، ولولا نزول هذه الآيات لما علم باستماعهم لتلاوته. ولو كانوا يستطيعون التخاطب مع البشر لتخاطبوا مع الرسول. ومع ذلك فقد اعتقد بعض الناس قبل الإسلام أن الجن تضر وتنفع فكانوا يعوذون بهم ظناً منهم أنه بإمكانهم حمايتهم من المجهول، أو إصابتهم بضرر: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا} {6}.

حيث كان الناس تسيطر على عقولهم الخرافات والخوف من الشياطين والأرواح الخفية، لدرجة أنهم كانوا عندما يهبطون وادياً في ترحالهم يرددون عبارات مثل: "أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه" - كما ورد في كتب التراث - ظناً منهم أن شياطين الجن ستؤذيهم. لأن المسافرين يكون بحالة خوف، ليس لأن الجن تشكلت بهيئات مفزعة وبدأت تطارده، ولكن لوجوده لوحده بعيداً عن الناس والعمران في أرض قفر جرداء، إلا من السراب الذي يحول الأشياء البعيدة إلى أشكال مخيفة أو "جن" في عين الرائي. وهذه شهادة من القرن العشرين على وحشة الصحراء من ياباني وجد نفسه وسط صحراء نجد في العام 1939. يقول إيجيرو ناكانو: "أعتقد أن العرب القدامى الذين تحدثوا عن الجن لم يتحدثوا من فراغ، بل تحدثوا عنهم من واقع معاشتهم لمثل هذه الطبيعة الصعبة التي تضمني الآن، حيث لا يمكن للمرء أن يرى شيئاً سوى الفراغ الهائل يحيط به من كل جانب. ولا بد أن العرب كانوا يشاهدون الصخور البعيدة تتشكل بفعل السراب إلى أشكال غريبة أقرب إلى الجن منها إلى أي شكل آخر". (الرحلة تمت عام 1939).

وبعد نزول سورة الجن، يبدو أن قريشاً سألت محمداً بمن يستعاذ به، إذا لم نستعذ بسيد الجن من سفهاء قومه، فنزلت سورة الفلق كجواب: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} {1} {مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ} {2} {وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ} {3} {وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ} {4} {وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ} {5}.

فالله وحده هو من يستعاذ به ولا شيء آخر غيره. والسورة تتحدث عما كان مسيطراً على مفاهيم الناس، وتستعيز من الكاهنات اللاتي لا يترددن من الإضرار بالناس عن طريق سقيهم ما يضرهم

من سموم، وليس تأكيداً لوجود سحر بالمعنى الشعبي، الذي بواسطته يمكن للساحر أن يضر شخصاً بعيداً عنه وبدون اتصال حسي، ويجعله يفقد سيطرته على مشاعره أو بعض حواسه وتصرفاته.

وبدل أن تنير هذه الآية عقول الناس وتعرفهم أن لا وجود للسحر بالمعنى الذي يظنون، فقد اعتبرها المفسرون آية تؤكد وجود السحر، كعالم خفي تسيطر عليه الشياطين ويضر الناس وينفعهم من دون الله.

ومثل ذلك قوله: " وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ " فقد فسرها المفسرون على أنها تعني العين. أي إصابة إنسان بمرض أو ضرر جراء تلفظ إنسان آخر بكلمة أو عبارة، لأن المتكلم يملك خاصية إصابة الغير بما سمي عند الناس بالعين.

ورغم أنه يستحيل أن يكون معنى الحسد في اللغة هو الإصابة بالعين إلا أن المفسرين تجاهلوا هذه الحقيقة وأصروا على أن الحسد هو الإصابة بالعين. وقد ترسخت خرافة الإصابة بالعين وترسخ معها أن هذه الآية دليل قرآني يؤكد أن الله أنزل آية يستعاذ بها من شر العين.

ونتيجة لسيطرة الخرافات على الزمن الذي كتب فيه التفسير فقد أصبح السحر والعين بمعناهما الشعبي الخرافي عقيدة من عقائد المسلمين، وأصبحت الخرافات جزءاً من الإسلام، بحسن أو سوء نية ممن رسخه.

وفي عصر العلم الذي نعيشه الآن لازالت المحاكم في السعودية تحكم بالموت على السحرة والمشعوذين، وينفذ في عدد منهم الإعدام سنوياً. ولو صدف وقامت جهة مسئولة بدراسة ما يمارسه هؤلاء دراسة علمية لوجد أنهم لا يزيدون عن كونهم أشخاصاً بسطاء جهلة فقراء استغلوا تصديق الناس بخرافة السحر فزعموا أنهم سحرة لكسب العيش، ولا يملكون قوى خارقة ولا يملكون سيطرة على الشياطين. وبالتالي وجب تعليمهم وتنقيفهم وتأهيلهم للقيام بأعمال تدر عليهم كسباً مادياً يكفيهم لعيش حياة كريمة. ونكون قد قضينا على خرافة السحر، ولم نقتل جهلة مساكين بغير حق.

ولو كنا جادين بالفعل في حرب الشعوذة لقمنا بدراسة ما يمارسه المشعوذون دراسة علمية، فإن كان علماً طورناه، وإن كان خرافات قضينا عليها بالمنطق والبراهين، وليس بقتل من يمارسها لأنه لم يجد ما يسد جوعه. كما يجب تنقيف الناس وتوعيتهم، وعدم الخلط بين الشعوذة والخرافات

وبين ما يسمى بالخدع البصرية التي هي علم قائم بذاته يمكن تعلمه، ولا علاقة له بما يعرف بالسحر في الثقافة الشعبية.

والنفاثات التي وردت في سورة الفلق هن الكهنة لكن هذا لا يعني أن تمتاعتهن تضر وتسحر بالمعنى الشعبي المعروف. ولكن الآيات تقول أن هناك من يحترف الكهانة والشعوذة وأنهن قد يتسببن بضرر لمن يتناول ما يقدمونه له بعلمه أو دون أن يعلم، ليس لأنه سحر بل لأنه سموم.

ومثل الفلق سورة الناس: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ {1} مَلِكِ النَّاسِ {2} إِلَهِ النَّاسِ {3} مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ {4} الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ {5} مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ {6}}.

والوسواس يكون نتيجة لمشاعر خفية في النفس البشرية "من الجنة" وليس الجن. كما يتولد الوسواس نتيجة لحديث أو اقتراح من الناس.

ونعود لآيات سورة الجن، حيث تنتقل إلى الحديث عن قريش: وَأَلَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا {16} لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا {17}.

ثم تعود الآيات لتكملة كلام الجن الذي ينقله القرآن، وقد توقفنا عند قول الآيات أن بعضهم مؤمن وبعضهم كافر، ثم يقولون: وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا {18} وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا {19}.

ثم تنتقل الآيات مخاطبة الرسول للرد على قريش فيما تتهم به محمد أو تطلبه منه وهو لا يملك: قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا {20} قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا {21} قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا {22} إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا {23} حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْأَلُونَ مَنْ أَضَعَفَ نَاصِرًا وَأَقَلَّ عَدَدًا {24}.

(الآية: 23) وإن كانت تتحدث عن قريش إلا أنها تؤكد أن كل من يعص الله ورسوله (وهو هنا محمد تحديداً) فإن له نار جهنم خالداً فيها. وهذا دليل على أن كل من يؤمن بالله ولا يتبع دعوة محمد فلن يقبل منه إيمانه، وهو رد على من يظن أن الإيمان بالله على الطريقة اليهودية حالياً ينجي من النار.

الآيات: قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ مِمَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا {25} عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا {26} إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا {27} لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا {28}.

استمرار للآيات قبلها، ولكن من الأفضل التحدث عنها منفصلة، لأن جزء منها يستخدم كدليل على أن الرسول (محمد) يعلم الغيب. وكأنها نزلت لتقرر هذه المعلومة عنه صلوات الله وسلامه عليه. حيث يقومون باقتطاع الآية 26، وجزء من الآية التي تليها، وكأنها نزلت لوحدها ولا علاقة لها بالسياق حولها، كما يلي: عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا {26} إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ.

ويقولون أن الله لا يعلم بغيبه إلا من يرتضي من رسله، وأن محمد قد ارتضاه وأطلعه على بعض الغيب وتحديداً ما سموه هم علامات الساعة.

وإلا فالآيات استمرار لما قبلها من آيات تخاطب محمد للرد على قريش التي تطالبه بتحديد موعد البعث وقيام الساعة، والتي تبدأ من الآية (20).

ولا يمكن الاستشهاد بها على ما يقولون، فالخاطب هو قريش التي لن ترى علامات الساعة (لو كان هناك علامات للساعة) لأن هذه العلامات المزعومة لم تأت بعد (طبعاً ولن تأتي أبداً، لأن نهاية الكون لن يحدث قبل بلايين السنين وهو شيء بينما نهاية البشر الحاليين شيء آخر وسيحدث قريباً بالنسبة لعمر الكون، مهما استمر فلن يدوم لملايين السنين).

والآيات كما قلنا استمرار لما قبلها، و "إلا" هنا بمعنى "أما". والقراءة كالتالي: قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ مِمَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا {25} عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا {26}.

وهنا توقف لأن مخاطبة الرسول تنتهي هنا. ثم تنتقل الآيات لموضوع جديد تقرر بموجبه أن الرسل (من البشر، أو من الملائكة كما يظن البعض) ستسجل أعمالهم ويحاسبون: إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا {27} لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا {28}.

وتسجيل الأعمال عبرت عنه السورة هنا وكان هناك راصد بين يدي الرسول ومن خلفه يرصد ويسجل حركاته وأفعاله وأقواله.

والقسم الثاني من سور اليوم هي: الإنسان، الملك، يس، القدر، الرحمن.

لازال المخاطب في الدعوة هم قريش دون بقية الناس، ولا زالت الأوضاع في مكة كما هي: رسول يدعوا وقريش لا تسمع، وتسخر وتتهكم، ونفر قليل مسلم يعيشون في الظل لا حول لهم ولا قوة. وستستمر الأوضاع في مكة كما هي إلى نهاية المرحلة الرابعة، دون تغيير يذكر.

ومن المهم ملاحظة أن الأيام تمر والصور تتوالى بالنزول لكنها لا تحمل تشريعات أو عبادات أو حدود ونحوها. وهنا يلزم أن نشير إلى أن التشريعات لا تفرض إلا بعد أن ينشأ مجتمع مسلم. وما قبل ذلك فكل المطلوب هو الإيمان بالله والبعث والصلاة بلا توقيت محدد والإنفاق وتحريم الغش التجاري. وهذا ليس خاصاً بالإسلام، بل كان متبعاً في الأمم السابقة. فموسى لم تنزل عليه التوراة إلا بعد هلاك فرعون ووجود مجموعة من بني إسرائيل آمنت مع موسى.

ولعل القراء لاحظوا أن الآيات لم تخاطب المؤمنين بمحمد حتى الآن، وهذا يشير إلى أنهم قلة قليلة لا تمثل جالية بما يكفي لنزول التشريعات. كما أنهم لم يتعرضوا بعد لأذى جسدي أو نفسي لا يطاق، فيما عدا السخرية والتهكم.

سورة الإنسان

تبدأ السورة بتساؤل ب هل والمقصود تقرير حقيقة أن الإنسان (أي شخص والمعني هنا قريش) بدأ خلقه من نطفة (مني) ثم أصبح إنساناً: هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً {1} إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً {2}. (دليل آخر على أسلوب القرآن المميز)

فالسورة تذكر قريش المنكرة للبعث أن خلقهم في البداية كان من لاشيء، فهل يعجز من خلقهم من إعادة بعثهم؟

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً {3} تكمل قائلة أن الله خلق الإنسان من نطفة ثم شخصاً كاملاً، وب عقل يمكن صاحبه من الاختيار الحر. بحيث أن الإنسان دون تدخل من خالقه يختار طريق الهداية أو الضلال. (دليل على أن الإنسان مخير وأنه لا إكراه في الدين)

ثم تواصل الآيات القول أن من اختار الضلال فله النار ومن اختار الهداية فله الجنة عبر تصوير حسي للعذاب للترهيب، وللنعيم للترغيب: إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا {4} إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً {5} عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً {6} إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا {4} إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً {5} عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً {6}

ثم تفرض الآيات تشريعاً جديداً مطلوباً لدخول الجنة إضافة للإنفاق الذي فرض سابقاً: يُوفُونَ بِالْأَنْذَرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا {7} وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا {8} إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا {9} إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا {10}

فأصبح المطلوب لدخول الجنة بعد الإيمان بالله والبعث: الصلاة، الإنفاق في مجالات سبق ذكرها وكرر بعضها هنا، الغش التجاري المذكور في المطففين، إضافة للتشريع الجديد المتمثل بالوفاء بالنذر (العهد والوعد .. الخ).

وتتواصل السورة: فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا {11} وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا {12} مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا {13} وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أَيْدِيهِمْ فَطُوفُوا فِيهَا تَذَلُّلًا {14} وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا {15} قَوَارِيرَ مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا {16} وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا {17} عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا {18} وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثورًا {19} وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلَكًا كَبِيرًا {20} عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَخُلُوعٌ أَسَاوِرَ مِّنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا {21} إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَّشْكُورًا {22}

صور حسية مشهية جداً للترغيب، وليس بالضرورة أنها تصور حقيقة ما في الجنة لأن عالم القيامة عالم مختلف عن عالمنا وكل تصوراتنا وكل ما في عالمنا.

(قوله: فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا {11} وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا {12}). دليل على أساليب القرآن المميزة، وهنا يتحدث عما سيكون في الجنة بصيغة ما كان: فوقاهم = سيقهم، وجزاهم = سيجزيهم).

ثم تتحول الآيات تخاطب الرسول وترد في نفس الوقت على ما تثيره قريش من شكوك حول صلة رسول الله بالسماء. مؤكدة أن القرآن الذي يتلوا محمداً عليهم هو بالفعل منزل من الله.

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا {23} فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آيْمًا أَوْ كُفُورًا {24} وَانْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا {25} وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا {26} إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا {27} نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا {28} (الآيات: 23-28) وتظهر الآيات بطريق غير مباشر أن رسول الله عليه

الصلاة والسلام قد تزايدت عليه الضغوط النفسية التي يواجهها من فريش، لذا كان لابد من تجديد وتحديث برنامج التأهيل النفسي وهو ما سيتكرر كلما دعت الحاجة. لذا تأمره الآيات أن يداوم على ذكر الله كل وقت "بكرة وأصيلاً" كناية على أي وقت وكل وقت وليس تحديداً للذكر بالبكرة والأصيل فقط. مع المداومة على البرنامج التأهيلي الذي فرضته المزملة " وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا".

وبالنسبة لقريش فهم يحبون الدنيا وينسون الآخرة، وقد سبق وأشارت له سور عدة من السور مررنا بها، ولو شاء الله لأهلكهم واستبدلهم بغيرهم.

(دليل على أن الرسول لا يدعوا بغير القرآن واعتراض قريش على ما يسمعون من محمد ولم يسمعو منه سوى القرآن).

إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا {29} وَمَا تَشَاوُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا {30} يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا {31}.

تأكيد على أن القرآن تذكرة لمن يرغب في إنقاذ نفسه (دليل على أن الدعوة لا تلزم أحداً بقبولها، الدين خيار شخصي).

وتختتم السورة بالتأكيد على أن مشيئة البشر مرتبطة بمشيئة الله، وبالتالي فدخل الجنة أو النار هو بمشيئته سبحانه. وهذا التقرير جاء بعد أن قالت الآية السابقة (29) أن القرآن تذكرة لمن يختار الهداية، وهو ما أكدته السورة في بدايتها بالقول: " إِنَّا هَدَيْنَا السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا". فمشيئة الله هنا تعني أن كل ما يجري في الكون وما سيجري في عالم القيامة قدره الله مسبقاً، بمعنى هو من خلق الكون وقدر له عمر سينتهي وسيخلق كون قيامة وما فيه من جنة ونار، والله قادر على ألا يخلق هذا ويخلق غيره حسب مشيئته واختياره. ووجود الإنسان وكونه سيعيش بعمر افتراضي لا يعني أن الإنسان قد قدر عليه الخير أو الشر أو قسم له رزقه أو كتب كم سيعيش من سنة وشهر ويوم وساعة. لكن مشيئة الله هنا تعني أن كل هذا حصل بمشيئة الله واختياره. فهو من خلق الإنسان بجسد لا يمكن أن يعمر لكنه لم يكتب عليه مسبقاً يوم للوفاة. بل جعل الوفاة تحدث بسبب مرض أو عجز أو شيخوخة أو حادث.. وهكذا.

فمشيئة الله بخلق كل شيء بقدر، ومشيئة الإنسان بتقرير مصيره واختيار طعامه وعلاجه وطريقة حياته.. الخ. فلو دخل النار أو الجنة فذلك نتيجة لأعماله التي فعلها باختياره. ومشية الله أن جعل لجسمه عمر افتراضي لا يتجاوزه (خلايا تهرم وتموت) لكن مشيئة الإنسان قد تتدخل

داخل إطار مشيئة الله. فالطب والغذاء أطالا عمر الإنسان، وهما من إنتاج الإنسان، داخل دائرة مشيئة الله. فمهما بلغ الطب والغذاء من تطور لن يبقيا الإنسان حياً للأبد. لكن قد يمتد بالإنسان العمر لو لقي عناية طبية متقدمة أكثر ممن لا يجد، ونفس الشيء بالنسبة للغذاء.. والحوادث تقصر عمر الإنسان، وهي من صنع وتدبير الإنسان لم يكتبها الله عليه. فالذي يقود سيارته بتهور ويقع له حادث ويموت فهو من قتل نفسه ولم يقتله الله. كذلك التهور وعدم اخذ الحيطة في كل شيء. نحن المسلمون وبتأثير من الموروث فهما أن هناك قدر مسبق وقضاء قضاء الله على الناس، فمن أهمل طفله في سيارته ومات الطفل من الحرارة أو من حادث قلنا قضاء وقدر، وبذلك نريح أنفسنا من تأنيب الضمير. ولأن هناك مسئولية لابد أن يتحملها أحد في أي حادثة، فالقول بأنه قضاء وقدر يخلينا من المسئولية ويحملها للخالق، الذي لا يمكن أن يسأله أحد عما يفعل بخلقه. وإلا فالله سبحانه يسير كل مخلوقاته بقوانين ثابتة ولا يسير خلقه بالعواطف.

وستمر بنا آيات عديدة في نفس الموضوع.

بداية السورة اختلفت، عن السور السابقة: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} {1} الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ} {2}.

والآية الثانية يستشهد بها أتباع السلف على أن من حكمة خلق الإنسان الامتحان، وهل سيؤمن أو يكفر. ولكن لو تمعنا في الآية فهي تقول: أن الموت لابد منه لكي نصل للآخرة حيث الحساب لما تم في الحياة الدنيا وبناءً عليه يتقرر المصير. لأن الدنيا ليس فيها لا حساب ولا ثواب أو عقاب، ولو لم توجد الدنيا فلن يكون عمل، ولو لم يوجد موت فلن يوجد حساب. ((هنا إشارة هامة أخرى، وهي أن الحياة الدنيا لا تستحق أن تكون هدفاً، وينتهي كل شيء)).

الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ} {3} ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ} {4} وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ} {5}

دعوة للتفكير بالخلق.

ونعود إلى الآية 3 التي تقول أن هناك سبع سماوات طباقاً، أي طبقة فوق أخرى. والكون كما ثبت حالياً لا يتألف من سبعة أكوان، كون فوق آخر. كما أن القرآن دائماً يخاطب المخاطب بما يستطيع رؤيته وتصوره، وإن ذكرت حقيقة علمية فليست مقصودة بذاتها. فمثلاً سورة النمل

تقول: {حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} النمل 18

والنمل له بالفعل لغة تخاطب، لكن قريش لا تعلم هذه الحقيقة، ومع ذلك ذكرها القرآن، لأن الحديث كان عن سليمان أخبرنا القرآن أنه أعطي قدرات لم يتمتع بها بشر، ومن ذلك معرفة منطق الطير وبعض الحشرات. لذا، آية الملك لا تتحدث عن الكون، والسماء هنا هو ما يغلف الأرض (أو الغلاف الجوي للأرض).

فهل هناك سبع طبقات للغلاف الجوي للأرض؟ هنا مجال للفلكيين والفيزيائيين العرب والمسلمين لعمل بحوث في هذا المجال، لعلهم يشاركون العالم بخدمة علمية.

والآية الرابعة تذكر أن الطبقة الدنيا من الطبقات السبع ينتشر فيها الضوء (وقد عرفنا أن الضوء ينتشر لوجود ذرات دقيقة من الغبار) كما أنها طبقة يتوفر فيها الأوكسجين لأنها رجوم لشياطين الجن الذين يحاولون اختراق المجال الجوي والسياحة في الكون. وهو ما تحدثت عنه سورة الجن السابقة وسور أخرى مثل الصافات: سورة الصافات: {إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ} {6} وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ {7} لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْأَعْلَىٰ وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ {8} دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ {9} إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ {10}.

وتستمر الآيات: وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَيُسَّ السَّعِيرُ {6} إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقاً وَهِيَ تَفُورُ {7} تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ {8} قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ {9} وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ {10}

تصوير حسي لما سيكون في النار، وتصوير مشهد حوار تخلي افتراضي لن يحدث، لكنه يتحدث بلسان حال أهل النار وندمهم على التفريط في الإيمان.

(الآية: 12): إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ {12} وعد للمؤمنين. وفيها إشارة إلى أن السور بدأت تخاطب المسلمين القلة في مكة وتعدهم بالمغفرة والنعيم.

هنا يمكن ملاحظة أن الآية تقول أنهم آمنوا بربهم "بالغيب" أي آمنوا بالبعث بدون دليل محسوس. لأنه يتعذر تقديم دليل محسوس لتأكيد. وإنما وجوده احتمال، يغلبه العقل، فمن يرى عظمة الخلق سيهتدي أن الله قادر على البعث.

وتقد الآيتان: 13-14 دليل لمن يجمع الأدلة على أن تسجيل الأعمال يتم باستمرار وبلا انقطاع، وأن من يريد أن يتوب لله فالله قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه. وهو ما ينفي حاجته سبحانه للنزول للسماء الدنيا ليستمع لخلق، كما يزعم المفسرون والمحدثون: وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ {13} {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ {14}}.

وتقول الآيتان أن الله هو من خلق الخلق وبالتالي فمن غير المعقول ألا يعلم ويفهم خلقه، وهو من جعل في النفس الآلية التي تسجل الأعمال. وهنا رد على عقيدة المسيحيين التي تقول أن يسوع كان ابنا لله أرسله بين البشر كبشر ليفهم عقلياتهم ونفسياتهم، لأنه سبحانه لم يتمكن من فهمهم قبل أن يرسل ابنه يسوع.

ثم تقدم السورة دعوة عقلانية للتفكير بالخلق: هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ {15} {أَمِنْتُمْ مِّن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ {16} {أَمْ أَمِنْتُمْ مِّن فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ {17} {وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ {18} {أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرِّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ {19} {أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ {20} {أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ {21} {أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ {22}}.

وقوله: {أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ {22}} كناية عن الكفر والإيمان. حيث صور الكافر كمن يمشي على وجهه، والمؤمن كمن يسير بشكل سوي على طريق مستقيم. (دليل أيضاً على أن صراط تعني طريق).

وتستمر الدعوة العقلانية لكن بنوع خطاب مختلف، حيث تأتي الآيات على شكل أمر للرسول بأن يقول: قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ {23} {قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ {24} {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ {25} {قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ {26} {فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ {27} {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مَن عَذَابِ إِلِيمٍ {28} {قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَن هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ {29} {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ {30}}.

وقوله تعالى: {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} {25} قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ} {26}. هنا ذكرت الآية تساؤل قريش وأوردت الرد عليه، بعكس سور كثيرة سابقة لا تذكر السؤال ولكن تبدأ بالإجابة التي يفهم منها السؤال.

والآية 26 دليل أيضاً على أن الرسول لا يعلم الغيب.

الآية: {فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ} {27}.

دليل على أساليب القرآن الفريدة. حديث عما سيكون يوم القيامة للكفار وكأنه حدث في الماضي. المقصود بالآية وعيد لقريش وترهيب لهم كوسيلة من وسائل الدعوة لعلهم يخافوا ويؤمنوا.

والآية 28 تظهر أن هناك مؤمنين بمحمد، وأن مكة أصبحت فرقين: مؤمنون قلة قليلة، وكثرة ساحقة كافرة. وتطلب الآيات من محمد ومن معه الصبر ولهم خاتمة الدار: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} {28}.

سورة يس

تبدأ السورة بمخاطبة محمد مؤكدة له أنه على الحق وما يدعوا له حق، وأن نفور قريش منه وعدم قبولهم لدعوتك لا يعني أنها باطلة، لكن مرده أنه حق عليهم الشقاوة (لأنهم اختاروا الكفر وليس لأن الكفر مقدر عليهم مسبقاً).

يس {1} وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ {2} إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ {3} عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ {4} تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ {5} لَتَنْذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ {6} لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ {7} إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَنْعَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ {8} وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ {9} وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَلْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ {10} إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ {11}.

(الآية: 12) نتحدث عن صحيفة الأعمال، لكن بطريقة مبتكرة، وكأن الله سبحانه هو من يسجل الأعمال، من باب أن من خلقنا وخلق فينا تلك الآلية التي تسجل أعمالنا هو الله: إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ {12}.

(الآيات: 13-30) قصة تاريخية المخاطب فيها قريش لعلها تعتبر. وبرغم أن القصة لقوم لم تسمهم الآية، فلا بد أنهم معروفين من قريش: وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ {13} إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ {14} قَالُوا

مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ {15} قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ {16} وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ {17} قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ {18} قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ {19} وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ {20} اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ {21} وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ {22} أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُقِذُّونَ {23} إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ {24} إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ {25} قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ {26} بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ {27} وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ {28} إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ {29} يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ {30}.

والقصة تروي موقف الناس (أي ناس) في أي زمان ومكان من الدعوة، حيث لا يوافق عليها إلا قلة مستضعفة، وهنا شخص واحد فقط من آمن بدعوة ثلاثة رسل في وقت واحد. أما بقية القوم فلم يؤمنوا، برغم أنه قد أرسل لهم ثلاثة رسل في وقت واحد، فليس المهم قوة الحجة ووضوح الحق ليتبع، ولا لكثرة الداعين له. فمن لا يؤمن بالدعوة منذ سمعها فلن يؤمن ولو استمرت دعوته إلى الأبد. وهذا يسري على دعوة العودة للدين، فلن يقبل بها رجال الدين لأنه تلغي وجودهم، ولا السياسي ولا أي منتفع من الوضع القائم، ومن ورائهم الاتباع الذين لا يفكرون ولا يقرأون، ولكنهم يتبعون رجال دينهم دون تفكير، وهذا يعني أن أغلب الناس ولأسباب مختلفة لن يقبلوا بها.

وأن على الدعاة للإصلاح الديني والعودة للدين التركيز على النشئ لأن أفكارهم لم تلوث بعد.

وقد احتوت الآيات السابقة دليل على أساليب القرآن المميزة، في قوله: قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ {26} بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ {27}. فالحديث يأتي بصيغة الماضي والمراد به المستقبل. لأن الجنة لم تخلق بعد، والرجل لم يدخلها، ومع ذلك جاءت العبارة وكأن هذا قد حدث بالفعل.

وتنتج الآيات إلى دعوة قريش دعوة عقلانية للتفكير: أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ {31} وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ {32} وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ {33} وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ {34} لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ {35} سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ {36} وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ

مُظْلِمُونَ {37} وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ {38} وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ {39} لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ {40} وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ {41} وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ {42} وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ {43} إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعاً إِلَىٰ حِينٍ {44} وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ {45}

وبعض الآيات السابقة يحاول من يزعم أن القرآن فيه إعجاز علمي، الاستشهاد بها، وهي:

{وآيةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلُخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ} {37} وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ {38} وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ {39} لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} {40}.

ولن أشير لأقوالهم، ولكنني أود أن أذكر القراء أن القرآن يخاطب قريش بما يعرفون، ولا يخاطبهم بحقائق علمية لن يعرفها البشر إلا بعد قرون. لأن كل ما يخاطبهم القرآن به يدخل في باب محاولة إقناعهم بالتفكير بالخلق لعلمهم يستدلون به على قدرة الخالق على البعث الذي ينكرون. ولن يكون هناك أي حكمة من أن يخاطبهم القرآن عن أسرار فلكية لم يعرفوها ويستحيل عليهم تصور وجودها.

والآيات السابقة تقول لقريش أن الله خلق الليل والنهار، الذي ترونهما يتتابعان، وكأن أحدهما ينسلخ من الآخر، وهو من خلق الشمس التي ترونها (بالعين) تجري لمستقرها (مكان وجهة مغيبها). وخلق الله القمر الذي تشاهدون يتنامى حتى يكتمل ويتناقص حتى يتوارى (هذا ما تراه العين) لكن القمر بالفعل لا ينمو ولا يكبر ولا يتوارى. وكما ترى عين الإنسان البسيط فالشمس لا تلاحق القمر ولا يلاحقها، ويراها وكأن كل واحد منهما يسير في مجاله (فلك) الخاص به.

ثم تأتي آية تقول: وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ {46}.

والآية تؤكد أن قريش لن تؤمن، ليس لأن الله قدر عليهم الكفر، ولكن لأنهم يسировون على سنة سارت عليها كل الأمم، وهي أن من لا يؤمن في البداية فلن يؤمن مهما سمع من براهين مقنعة.

كما أن الآية دليل آخر على أسلوب القرآن، يتردد شبيه له في سور كثيرة، والدليل هو أن الآية كأنها تشير إلى أن قريش جاءت آيات (معجزات) وهذا لم يحدث أبداً بشهادة سور كثيرة سأورد دليلاً من سور نزلت بعد سورة يس.

الدليل الأول من سورة من سور المرحلة الخامسة: وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بَآيَةٌ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَآئِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ {203} الأعراف.

والدليل الثاني من سورة من سور المرحلة السادسة: وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفاً {59} بني إسرائيل.

(الآية: 47): وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَنْطَعِمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}.

تقول الآية أن رجال قريش لم يستجيبوا لطلب الإنفاق، وقالوا حسب فهم الناس الخاطئ لمشية الله، أنه لو كان الله هو من أرسل محمد لأطعم المؤمنين. كما يستفاد من هذه الآية أن قريش كان بإمكانها أن تتعايش مع المسلمين ويعيش الكافر والمسلم في مكة بونام وسلام، وبينون مجتمعاً عادلاً، يقوم على الإنفاق والصرف على احتياجات المجتمع والناس بغض النظر عن العقيدة. فالمواطن من ينفق إن كان غنياً أو يستفيد من الإنفاق إن كان محتاجاً بغض النظر عن عقيدته. لكن قريش هي من لم ترغب في التعايش السلمي مع المسلمين.

ونستفيد من هذا أنه لو كان هناك دولة إسلام، فسيعيش فيها كل الناس مواطنين بنفس الحقوق بعض النظر عن المعتقد. وتقوم هذه الدولة على قوانين أهمها: تفعيل قانون الإنفاق من كل من يملك المال (بغض النظر عن العقيدة) الذي سيدعم الميزانية التي ستنفق على البنى التحتية الكفيلة بالنهوض بالمجتمع ومحاربة الفقر وتوفير الخدمات (لكل الناس بغض النظر عن العقيدة).

(الآية: 48): وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} قريش مستمرة بالتساؤل: متى البعث يا محمد؟

وهو تساؤل لم تتوقف قريش عن طرحه أبداً.

(الآيتان: 49-50): مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ {49} فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ}. دليل على أن كل من مات فسيشعر أن القيامة قامت لحظة موته، لأن ذاكرته ستتوقف عن التسجيل بمجرد موته، ولن يشعر بالوقت الفاصل بين موته والقيامة مهما طال.

وهو ما نتحدث عنه الآيتان اللاحقتان: (51-52): وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ {51} قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ {52}. فالقيامة ستكون بعد نشأة كون خاص بها (الصور = الكون في لغة القرآن)، وتصور الآية 51

بعث الناس بصورة حسية وكأنهم ينسلون من الأرض. أما الآية 52 فتصور حال الكافر لحظة بعثه يوم القيامة. فهو يتحسر على قيامه للبعث من مرقدته (موته) ويتمنى لو لم يقم. (دليل على أنه لا يوجد عذاب للقبر).

(الآية: 53): إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ} ، تصف القيامة وكأنها صيحة واحدة نهض بموجبها كل الناس مرة واحدة.

(الآية: 54): فَالْيَوْمَ لَا تُظَلَّمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} ، تقول: الحساب سيكون بناءً على ما تسجله صحيفة الأعمال لكل شخص. وهو ما كررت تأكيده السور منذ بداية هذه المرحلة. (دليل على أن الله لا يتعامل بالعواطف، فيغفر لهذا ويعذب هذا بالعاطفة، لكنه سبحانه كل شيء فيخلقه في الدنيا والآخرة يسير حسب قوانين ثابتة لا تتغير. فالإنسان أعطي الخيار لاختار بحرية، وما يختاره سيسجل بآلية مزروعة في نفسه. أي أنه هو سيسجل أفعاله بنفسه، وهذا منتهى العدل. ويوم القيامة سيكون الحساب بمنتهى العدل وبموجب قوانين ثابتة: ما سجله الشخص بنفسه على نفسه في صحيفته سيحاسب بموجبه إن خيراً فخير وغن شراً فشر.

ثم تقدم (الآيات: 55-58) صوراً حسية عما في الجنة: إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ {55} هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِئُونَ {56} لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَاءٌ يَدْعُونَ {57} سَلَامٌ قَوْلاً مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ {58}.

(الآيات: 59-64) وعيد للمكذبين وما سيحدث لهم يوم القيامة بسبب أنهم عبدوا الشيطان بطاعته وتركوا عبادة الله (طاعته): وَامْتَأَزُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ {59} أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ {60} وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ {61} وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ {62} هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ {63} اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ {64}.

(الآية: 65): الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} تصوير حسي جديد لصحيفة الأعمال، فهي آلية في النفس تسجل كل ما يصدر من الشخص وما تشعر به حواسه الخمس منذ الولادة حتى الموت، وبناءً عليه تتم محاسبته كما ذكرنا. هنا تقول الآية أن هذه الآلية تسجل ما تفعله الأيدي والأرجل وستتطق، وفي آيات أخرى تقول: {يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} {24} النور. وتقول سورة فصلت: {حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} {20} فصلت. فالفكرة هي أن كل شيء يصدر من الإنسان يسجل (قول، فعل، عواطف، ... الخ) وبناءً على هذا السجل يحاسب.

ثم تأتي آيتان يعود الخطاب للتوجه إلى قريش بأن الله قادر على معاقبتهم في الدنيا. وكأنه رد على تساؤل قد تكون قريش طلبت من الرسول أن يوقع الله بهم العقاب إن كان صادقاً: وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ {66} وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ {67}.

(الآية: 68): وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْلَمُونَ { دليل آخر لأساليب القرآن. هنا الآية تذكر حقيقة أن الإنسان لو طال به العمر فسيتردى فكره وقوته، مع أنه لم يسبق أن ورد حديث عن أطوار العمر التي تمر بالإنسان.

الآيتان: وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ {69} لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ {70}، ترد على اتهام قريش لمحمد بأن كلامه نوع من الشعر، وتقول أن ما يتلوا عليهم محمد ذكر لمن يرغب وهو قرآن مبين لإنذار من كان حياً (معنوياً يعني يعقل). (دليل على أن الرسول لا يستخدم سوى القرآن في دعوته).

هنا الله يقول أنه لا ينبغي لمحمد أن يقول الشعر: " وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ " فالشعر مذموم من الله، وهو ما أكدته سورة ستأتي في المرحلة السادسة، وهي الشعراء التي تقول: هَلْ أَتَبْنُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ {221} تَنْزَلَ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٌ {222} يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ {223} وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ {224} أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ {225} وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ {226} إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ {227}.

لكن الشعر أصبح ممدوحاً لأن السلاطين بعد عصر صدر الإسلام أصبحوا يمجّدونه ويدنون الشعراء ونحن ورثنا هذا التمجيد حتى أصبح الشعر اليوم نبيل وكرامة. والتراث ممثلاً في كتب السير والتاريخ رسخ بيننا أن للرسول شاعر خاص، بعد أن أصبح للحكام شعراء للبلابل. واختلقوا شعر وقصائد نسبوها لحسان ابن ثابت، بل وقالوا أن الرسول سمح له بألا يشارك في القتال والجهاد مقابل أن يقول الشعر.

ويقولون أن ذم الشعراء في آيات الشعراء موجه فقط للشعراء الكفار لأن الآية 227 تقول إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات. مع أن المستثنى قد يكون من الوعيد الذي حملته الآيات لقريش منذ قوله تعالى: كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ {200} لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ {201} فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ {202} فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ {203} أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ {204}.

(الآيات: 71-83) دعوة عقلانية للتفكير بالخلق للاستدلال على قدرة الخالق على البعث: أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ {71} وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ {72} وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ {73} وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ {74} لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ {75} فَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ {76} أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ {77} وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ {78} قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ {79} الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ {80} أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ {81} إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ {82} فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ {83}.

كما يمكن أن نستفيد منها أدلة أخرى:

(دليل مخالف لنظرية أن الدواب قد تم تدجينها من قبل الإنسان فتحولت من متوحشة إلى مستأنسة كالخيل والجمال والبقر والحمير والأغنام.. وهو ما يعني أن هناك حيوانات خلقت متوحشة وستبقى كذلك ولن تدجن، وحيوانات خلقت مستأنسة: وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ {72}.

(الآيتان: 74-75) أول مرة تذكر الآيات أن قريش تعبد آلهة لا حيل لها ولا قوة (أصنام).

(الآية: 76) تشير إلى أن محمد تزايدت عليه الضغوط النفسية المتمثلة بتهجم رجال قريش عليه: فلا يحزنك قولهم.

آخر الآيات: 81-83 نقول أنهم لو فكروا بقدرة الله لعرفوا أنه خلق السموات والأرض وهي أعظم من خلق الإنسان، وأنه سبحانه إذا أراد أن يخلق شيئاً فيقول له كن فيكون.

والمتفكر بخلق الله يجد أن الكون خلق بكن (مجموعة من القوانين الفيزيائية الثابتة) ويسير بموجب قوانين ثابتة. وكل خلق الله يسير بدقة وقوانين ثابتة. فقله كن لا يعني أن الكون خلق واكتمل بصورته الحالية حدث بلحظة. لكنه انبثق بلحظة نتيجة لقوانين ثابتة هي التي تبلور بموجبها الكون حتى اكتمل.

سورة القدر

امتداداً لتكذيب قريش، بدعوا يلاحقون الرسول بالأسئلة سخرية منهم وعدم تصديق، وليس للمعرفة واليقين. ومن الأسئلة التي وجهتها قريش لمحمد كان التساؤل عن بداية تلقيه الوحي، متى كان؟

وهو سؤال كررته قريش كثيراً، وجاء جوابه في عدد من السور، لكن سورة القدر جاءت بكاملها للرد على هذا السؤال: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ {1} وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ {2} لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ {3} تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ {4} سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ {5}}.

فالسورة تقول أن بداية تلقي محمداً للوحي كان في ليلة أصبحت مباركة لأن الوحي بدأ النزول فيها، وليس لأنها ليلة مقدسة أصلاً، كما ترسخ لدينا بواسطة المفسرين. وقد تكرر ذكر هذه الليلة التي بدأ فيها نزول الوحي "ليلة القدر" في سور أخرى، لأن قريش كررت السؤال، ومن ذلك ما جاء في سورة الدخان من سور المرحلة القادمة: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ {3} فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ {4} أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ {5}}.

كما تكرر مرة ثالثة في المدينة أثناء الحديث عن رمضان والصيام، وذلك في قوله تعالى: {شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُم وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ {185} البقرة.

والمسلمون اليوم يقدسون ليلة مبهمة في رمضان ، ليس لأنه بدأ الوحي ينزل فيها، لكن لأن المفسرين حولوا معناها إلى ليلة تحدث فيها أعاجيب وظواهر غير طبيعية، من دعا أثناءها فستتحقق له أمانيه. ونسي الناس أن قدسيته استمدت من كونها أول ليلة يتلقى فيها محمد أول سورة من القرآن، وليس لها قدسية بذاتها. وهذه هي حقيقتها التي يمكن للمسلمين الاحتفال بها - إن شاءوا - دون انتظار لتحقيق أمني أو حدوث معجزات حسية، أو تحويلها لليلة يقبل فيها الله الدعاء أكثر من غيرها، أو أنه مطلوب فيها الذكر وقراءة القرآن أكثر من غيرها، فكل هذه المزاعم لا أصل لها في دين الله وإنما ألصقت فيه بواسطة البشر. واللافت أن أكثر من يهتم بليلة القدر بمفهوم المفسرين هم أشد مذاهب المسلمين تشدداً ومحاربة للغلو كما يزعمون، لكنهم يتناسون ما ينهون عنه غيرهم في حالات يهتمون فيها بموضوع معين، مثل اهتمامهم بما سموه ليلة القدر "العجيبة". ((هذه الفقرة منقولة من أحسن القصص)).

ثم نزلت سورة الرحمن

أسلوب السورة مختلف، يعتمد شد الانتباه بآيات سجع قصيرة، تدعوا للتفكير بخلق الخالق على البعث. مع تكرار "فبأي آلاء ربكما تكذبان"، كتساؤل وتعجب لبقاء قريش على الكفر برغم وضوح الحجة. ((لاحظ أسلوب القرآن، الذي يستخدم صيغة المثني ويقصد بها جمع مشركي قريش))

والسورة بمجملها تقرر عدد من الحقائق: الرَّحْمَنُ {1} عَلَّمَ الْقُرْآنَ {2} خَلَقَ الْإِنْسَانَ {3} عَلَّمَهُ الْبَيَانَ {4} الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ {5} وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ {6}.

و(الآيات: 7-9) تؤكد على قانون الغش التجاري الذي ورد في سورة المطففين السابقة، وتقول أن الله وضع الميزان، وكأن المقصود هو أن كل تعاملات الخلق يجب فيها العدل والميزان، كما ورد في سور أخرى مثل: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} الحديد:25.

وهو هنا مقدمة للحرص على الصدق والشفافية لكل ما يقدم للغير، والبعد عن الغش التجاري. (يضاف لمادة قانون الغش التجاري).

ثم تعود الآيات لما سبق وتحدثت عنه بداية السورة: وَالْأَرْضُ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ {10} فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ {11} وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ {12} فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {13} خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ {14}

ثم تؤكد السورة حقيقة أن الجن مخلوقات من طاقة، كما ورد في سورة الجن: وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ {15} فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {16}.

وتقول السورة: رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ {17} فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {18}.

وقد تكلف المفسرون في تقديم قصص مختلف ومتخالف عن المقصود بالمشركين والمغربين، ولو عقلوا أن القرآن يخاطب المخاطب حسب ما يرى ويعرف وما تنتسج له مداركه، لعرفوا أن قريش لم تعترض على هذه العبارة وفهمتها، كما لم تعترض على عبارات أخرى ذكرها القرآن عن المشرق والمغرب، مثل: {فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ} المعارج:40، وقوله تعالى: {قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُتُمْ تَعْقِلُونَ} الشعراء:28

وبالتالي فالمقصود بالشرق أو المشرقين أو المشارق هو واحد، كما المغرب والمغربين والمغرب. وهو ما تراه قریش وتشاهده. وليس له علاقة بمشارق الكواكب البعيدة.

وتقول السورة: مَرَجَ الْبُحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ {19} بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ {20} فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {21} يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ {22} فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {23} وهذه الآيات التي يستدل بها من يروج لمعجزات في القرآن علمية. ويقولون أن هذه الظاهرة لم تعرف إلا في العصر الحديث. وبطبيعة الحال إن كانت السورة تتحدث عن التقاء ماء نهر بماء بحر فيمكن ملاحظة أن مياه النهر تحتفظ بلونها المختلف عن مياه البحر لمسافة في البحر إلى أن تختلط به وتضمحل. وهذه يمكن مشاهدتها في أي مكان يلتقي فيه نهر وبحر أو حتى نهريين جاءا من مكانين مختلفين، لكنها لا تمثل ظاهرة علمية للتو اكتشافها الإنسان. وأهل الخرطوم (عاصمة السودان) اعتادوا رؤية النيل بلونين في المنطقة التي يلتقي فيها النيل الأزرق بالنيل الأبيض، ومنذ آلاف السنين قبل الإسلام. وكذلك الحال في منطقة صب النيل بالبحر الأبيض المتوسط، وفي أي مكان يلتقي فيه نهريين أو نهر وبحر أو حتى بحرين. ومما بقي في الذاكرة من أيام الدراسة أن نهر الأمازون تحتفظ مياهه بحلاوتها لمسافة أكثر من 300 كيلومتر بعد أن يصب في المحيط الأطلسي، لأن كمية مياه النهر هائلة. فالآيات تتحدث عن ظاهرة معروفة من قبل وجود الإنسان على الأرض، ولا تتحدث عن شيء مجهول لقریش الذين تخاطبهم الآيات، ولن يعرفه الناس إلا بعد قرون.

وتستمر الآيات: وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ {24} فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {25} كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ {26} وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ {27} فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {28}.

(الآيتان: 26-27) دليل على أن كل المخلوقات الحية في الكون ستفنى قبل يوم القيامة.

وتعطي الآيات صوراً حسية لانتهاه الكون (37) ولما في النار ولما في الجنة: يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ {29} فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {30} سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ {31} فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {32} يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ {33} فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {34} يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنَحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ {35} فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {36} فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ {37} فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {38} فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ {39} فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {40} يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي

وَالْأَفْدَامُ {41} فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {42} هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ {43} يَطُوفُونَ
بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتٍ {44} فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {45}

والآيات: 46 – 78 تؤكد ما جاء في سورة الواقعة أن الجنة تتألف من مستويين: وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ
رَبِّهِ جَنَّاتٍ {46} فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {47} دَوَاتَا أَفْنَانٍ {48} فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {49}
فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ {50} فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {51} فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ {52} فَبِأَيِّ
آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {53} مُتَكَبِّرِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ {54} فَبِأَيِّ
آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {55} فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ {56} فَبِأَيِّ آلَاءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {57} كَانَتْهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ {58} فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {59} هَلْ جَزَاءُ
الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ {60} فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {61} وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ {62} فَبِأَيِّ آلَاءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {63} مُدْهَمَمَتَانِ {64} فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {65} فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ {66}
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {67} فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمانٌ {68} فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {69}
فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ {70} فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {71} حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ {72} فَبِأَيِّ
آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {73} لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ {74} فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {75}
مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ {76} فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {77} تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ
ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ {78}.

كما تذكر الآيات الحور لأول مرة في الآيات (56، 72، 74). ومن المناسب أن نذكر أن السور
التي تخاطب قريش هي في الواقع تخاطب رجال قريش ولا تخاطب نساءها - باستثناء سورة
المسد التي ذكرت امرأة أبو لهب - ولا تخاطب موالي وعبيد مكة طوال المراحل الأربع الأولى
للدعوة في مكة. وهذا بسبب أن كبراء قريش هم من يقود مجتمع مكة ويرسم سياسة البلد، والبقية
تبع لهم. لذا فالقرآن يخاطبهم ويدعوهم للإسلام، وكل الصور الحسية في الجنة لترغيبهم. وهذه
الصور لا تصور واقع الجنة، ولكنها أسلوب ترغيبي فقط. وكأنها تقول لهم إن كنتم تحبون المتع
الدنيوية ففي الجنة متع أفضل. فالخمر الذي تشربون ستجدون أفضل منه، والفواكه والثمار
والمياه والأنهار... الخ. وإذا كنتم تستمتعون بالنساء والجواري ففي الجنة متع أفضل أطلق عليها
القرآن "حور". وإلا فالجنس ضرورة دنيوية لبقاء الجنس البشري واستمراره، ولو لم يكن بهذه
الرغبة فسينقرض الجنس البشري. ويوم القيامة لن يكون هناك تناسل، والذي بسببه وجد الجنس
في الدنيا. وبالتالي فلن يكون هناك جنس لانتفاء الحاجة له.

ولأن النساء لم يكن لهن دور في صنع قرارات المجتمع المكي وكذلك المدني فلم يخاطبهن القرآن بصورة حسية لما ينتظرهن في الجنة. وإلا فالجنة وما فيها من متع حقيقية لا نستطيع تصورها، فهي متاحة للرجل والمرأة على حد سواء: {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا} {124} النساء.

ونكون قد وصلنا لنهاية هذا اليوم، وإلى اللقاء غداً في اليوم رقم 4 إن شاء الله.

والسلام عليكم

ابن
فقرناس